Omdurman Islamic University Journal(OIUJ)

مجلة جامعة أم درمان الاسلامية

https://journal.oiu.edu.sd/index.php/oiuj

2022; 18(2);114-131

https://doi.org/10.52981/oiuj.v18i2.2523

ISSN: 5361-1858

القضية الفلسطينية جذورها ومراحل تطورها 1897م – 1948م

د. فتح الرحمن الطاهر عبدالرحمن حمد

قسم التاريخ، كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة البحر الأحمر ، بورسودان، السودان.

البريد الالكتروني: fatah.conce@yahoo.com

للاستشهاد بهذا المقال:–

الطاهر عبدالرحمن حمدف. ا. (2022). القضية الفلسطينية جذورها ومراحل تطورها 1897م – 1948م *Omdurman Islamic University Journal*, *18*(2), 114-132. Retrieved from https://journal.oiu.edu.sd/index.php/oiuj/article/view/2523

المستخلص :

هدف هذا البحث إلى التعريف بالقضية الفلسطينية في جذورها ومراحل تطورها، ودراسة نشاط الحركة الصهيونية بمعاونة بريطانيا والدول الغربية في السعي للاستيلاء على أراضي فلسطين وتأسيس دولة إسرائيل فيها. وتأتي أهمية البحث من أهمية موضوعه، كما أنه يقدم دراسة علمية موثقة تعتبر إضافة إلى المكتبة في مجال الدراسات الخاصة بالقضية الفلسطينية.

اتبع الباحث منهج البحث التاريخي الوصفي والتحليلي في دراسة المعلومات التي جمعت من المصادر والمراجع ونقاشها وتحليلها ثم الخروج منها بنتائج وتوصيات ضمنت نهاية البحث.

خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج من بينها أن الحركة الصهيونية قد سعت بكل إمكانياتها إلى الاستيطان والاستيلاء على الاراضي الفلسطينية لتحقيق حلمها بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وقد لعبت بريطانيا وحلفائها دوراً كبيراً في مساعدة ومساندة الصهيونية لتحقيق ذلك الحلم، وإقامة دولة إسرائيل في الأراضي الفلسطينية، رغم المقاومة الوطنية للوجود الصهيوني في فلسطين.

وأوصت الدراسة بضرورة توحيد الصف العربي للمساهمة في دعم ومناصرة الشعب الفلسطيني في صراعه مع الصهاينة، واسترداد ما فقده العرب من أراضي مغتصبة في فلسطين.

الكلمات المفتاحية:

الحركة الصهيونية، وعد بلفور، الهجرة والاستيطان، الانتداب البريطاني في فلسطين، الكتاب الأبيض، قرار تقسيم فلسطين، المقاومة والثورة الفلسطينية.

Abstract :

The aim of this research is to introduce the Palestinian cause to its roots and stages of development، and to study the activity of the Zionist movement with the help of Britain and Western countries in seeking to seize the lands of Palestine and establish the State of Israel in it. The importance of the research comes from the importance of its subject، as it presents a documented scientific study that is considered an addition to the library in the field of studies related to the Palestinian cause.

The researcher followed the method of historical descriptive and analytical research in studying the information collected from sources and references، discussing and analyzing them، and then coming out with results and recommendations that come at the end of the research.

The study concluded a number of results، including that the Zionist movement has sought with all its capabilities to settle and seize Palestinian lands to realize its dream of establishing a national home for the Jews in Palestine. Despite the national resistance to the Zionist presence in Palestine. The study recommended the need to unify the Arab ranks to contribute to supporting and advocating the Palestinian people in their struggle with the Zionists، and to recover what the Arabs lost from the usurped lands in Palestine.

مقدمة:

تعتبر القضية الفلسطينية هي أساس التحدي الذي يواجه العرب جميعاً؛ لأن الخطر اليهودي لا يهدد عروبة فلسطين وحدها فحسب، بل يمتد تهديده ليشمل الوطن العربي بأكمله. وعلى الرغم من اختلاف الظروف والمراحل التي مرت بها القضية الفلسطينية الا أنها تعتبر هي القضية العربية الأساسية التي تستوجب الوحدة العربية، رغم الصراع العربي والاختراق الأجنبي في صفوف العرب وانقسامهم بين المعسكرات الغربية والشرقية، فلا بد من الرجوع إلى ماضي مسيرتهم النضإلة في دعم الشعب الفلسطيني لاسترداد حقوقه وأراضيه المسلوبة وإقامة دولته الفلسطينية المستقلة.

مشكلة البحث:

تعتبر الأطماع اليهودية في فلسطين التي انتهت بتأسيس دولة إسرائيل في الأراضي الفلسطينية هي من أكبر القضايا وأعقدها في تاريخ الشرق الأوسط الحديث والمعاصر والتي تمتد جذورها تاريخياً منذ وقت طويل. وبذلك فان الدراسة تقتضي الإجابة على بعض الاسئلة الخاصة بجذور هذه القضية ومراحل تطورها، إذاً ما هي الظروف والملابسات التي جعلت اليهود يسعون إلى التفكير في قيام وطن قومي لهم في فلسطين بالتحديد؟ إلى أي مدي ساهمت بريطانيا في مساعدة اليهود في سعيهم لتحقيق حلمهم في إقامة الوطن القومي لهم في فلسطين؟ كيف ساهمت المنظمات الدولية في دعم وإصدار قرار تقسيم فلسطين؟ وما هو الدور الذي قامت به المقاومة الوطنية في فلسطين لمناهضة الوجود الصهيوني على أراضيها والموقف العربي من ذلك؟.

أهداف البحث:

هدف هذا البحث إلى:

1- التعريف بجذور القضية الفلسطينية ودراسة مراحل تطورها.

2- تتبع نشاط الحركة الصهيونية في محاولتها لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

3- دراسة المساعي البريطانية في مساعدة اليهود لتحقيق أهدافهم في فلسطين منذ وعد بلفور 1917م ومعالجات صك الانتداب البريطاني لخدمتهم وحتى صدور قرار تقسيم فلسطين عام 1948م.

4- إبراز عمق الصلة التي تربط بين الصهاينة والقوي الغربية التي لعبت دوراً كبيراً في قيام دولة إسرائيل وحمايتها عبر المنظمات الدولية ودعمها لمشروع التهجير والاستيطان اليهودي إلى فلسطين.

أهمية البحث:

يقدم البحث دراسة علمية موثقة تتناول قضية أساسية في تاريخ الشرق الاوسط الحديث والمعاصر، ويعتبر إضافة إلى المكتبة في مجال البحث العلمي الخاص بالقضية العربية عموماً وموضوع القضية الفلسطينية على وجه الخصوص.

منهج البحث:

اتبع الباحث منهج البحث التاريخي الوصفي والتحليلي في دراسة المعلومات التي جمعت من المصادر والمراجع ونقاشها وتحليلها ثم الخروج منها بنتائج وتوصيات ضمنت نهاية البحث.

حدود البحث:

الحدود الزمانية: الفترة من 1897م وهو تاريخ أول مؤتمر صهيوني لليهود في مدينة بال السويسرية وحتى عام 1948م حين صدور قرار تقسيم فلسطين في الأمم المتحدة.

الحدود المكانية: فلسطين.

حدود فلسطين التاريخية :

تقع فلسطين في الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وتحتل موقعاً بين خطوط الطول 34.15 و 35.40 درجة شرقي غرينتش، وخطوط العرض 29.30 و 32.15 شمالاً. وحدودها من الناحية الشرقية سوريا والأردن، وشمالاً لبنان وأجزاء من سوريا، أما في الجنوب مصر وخليج العقبة(1).

يحدها البحر الابيض المتوسط غرباً حيث يفصلها عن سيناء من الجنوب الغربي رأس خليج العقبة جنوباً، ووادي عربه، والبحر الميت ونهر الأردن شرقاً ومنحدر هضبة الجولان قرب شاطئ بحيرة طبريا الشرقية ومسار نهر الأردن الشمإلى في الشمال الشرقي، ويحدها شمالاً لبنان في خط متعرج يبتدئ غرباً برأس الناقورة على البحر الأبيض المتوسط (2).

في القرن الخامس قبل الميلاد تحدث المؤرخ هيرودوت عن المنطقة الجغرافية جنوبي بلاد الشام باسم فلسطين وأشار إلى منطقتي بلاد الشام وبلاد الرافدين بأم سوريا وإلى جنوبها بفلسطين وفلسطين السورية، وعم استخدام اسم فلسطين كاسم منطقة ذات حدود سياسية معينة في القرن الثاني للميلاد عندما أقامت سلطات الإمبراطورية الرومانية ولاية فلسطين السورية، وأصبحت فلسطين تسمي جند فلسطين في بداية عهد الخلافة الاسلامية (3).

أبرز المدن الفلسطينية:

أهم المدن الفلسطينية القدس وتسمي أيضاً بيت المقدس واسمها القديم هو إيلياء، وهي العاصمة السياسية والثقافية والاقتصادية لفلسطين، تتميز بتاريخها العريق ووجود أولي القبلتين فيها وثالث الحرمين المسجد الأقصى بالإضافة إلى قبة الصخرة وكنيسة القيامة. وأيضاً مدينة يافا وهي مدينة عريقة كنعانية يقدر عمرها بما يزيد على خمسة ألف عام. وحيفا تقع على البحر الأبيض المتوسط وتعتبر من أهم موانى فلسطين ويطلق علىها اسم عروس الكرمل، ومدينة الخليل هي مدينة تاريخية عريقة تقع في جنوب فلسطين تتميز بوجود الحرم الإبراهيمي فيها وتعتبر مركزاً تجارياً مهماً لمنطقة جبل الخليل كافة، ومدينة الناصرة من المدن المقدسة لدي المسيحيين، والتي عاش فيها سيدنا عيسي علىه السلام، مدينة نابلس تقع ما بين جبل جرزيم وجبل عيبال شمال القدس وتتميز بصناعاتها المختلفة كصناعة الصابون والحلويات، مدينة غزة وهي من أكبر المدن في الجنوب الفلسطيني وتعتبر مركزاً مهماً في طريق التجارة بين مصر وفلسطين، مدينة صفد وتقع في الشرق من جبال الجليل وهي مدينة ذات مناخ متميز وتاريخ عريق، أريحا وتقع شمال البحر الميت وهي من أقدم المدن إذ يزيد عمرها عن 10ألف عاما.

جذور الأطماع الغربية في فلسطين:

تاريخياً فإن فلسطين كانت تمثل مجالاً للأطماع الأوربية خلال العصور الحديثة إلى منتصف القرن السابع عشر، ففي تلك الفترة كان هناك صراع مرير بين الدول الاوربية حول السيطرة على التجارة العالمية والتحكم في طرق مواصلاتها. فكان البيوريتانيون Puritans "المطهرون" كانوا يشكلون الطبقة الحاكمة في إنجلترا والأراضي المنخفضة، وكانوا يمثلون القوة الاقتصادية وكبار التجار ورجال الأعمال. ونظراً للعلاقة المتينة بين البيوريتانية واليهودية فقد تهيأ لليهود أن يساهموا في النشاط التجاري، كما أنه لم يكن عسيراً على رئيس إنجلترا البيوريتاني أوليفر كروميل أن يدرك حجم الفائدة المادية التي يمكن أن يقدمها اليهود لاقتصاديات بلاده في مجال التجارة، لذلك فقد سعي إلى الاهتمام الكبير بشأن اليهود وتقديم الكثير من التسهيلات لهم (4).

قام عدد من البيوريتانيين الإنجليز بتنظيم حركة تهدف إلى مساعدة اليهود على الاستيطان في فلسطين وقاموا بتقديم عريضة إلى الحكومة الإنجليزية في عام 1649م جاء فيهاب: " إن الأمة الانجليزية مع سكان الأراضي المنخفضة سيكونون أول الناس وأكثرهم استعداداً لنقل أبناء إسرائيل وبناتها على سفنهم إلى الأرض الموعودة لأجدادهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب كي تصبح ارثاً دائماً لهم". رغم ان هذه الحركة ودعوتها لتوطين اليهود في فلسطين لم يكن لديها أي نتائج وخطوات عملية إلا انها كانت تبرز دوراً مهماً للقوي الحاكمة في إنجلترا وغيرها لكي تعطي المزيد من الاهتمام لفلسطين وتتبني بجدية هذا الأمر الذي تجني من وراءه الفائدة الكبيرة على المستوي الاقتصادي والسياسي وذلك بسبب توطين اليهود فيها (5).

فرنسا كانت من أوائل الدول الأوربية التي دعت بشكل جدي إلى توطين اليهود في فلسطين. وكان أن أعدت حكومة الإدارة في فرنسا في عام 1798م خطة سرية لإقامة "كومنولث يهودي في فلسطين" في حال نجاح الحملة الفرنسية في احتلال مصر والمشرق العربي بما فيه فلسطين وذلك مقابل دعم اليهود للحكومة الفرنسية بقروض مإلية إذ كانت الحكومة الفرنسية تمر بضائقة اقتصادية. وأن يساهموا في تمويل حملة نابليون بونابرت المتجهة نحو المشرق العربي، وأن يتعهد اليهود ببث الفوضى وإشعال الفتن وخلق الأزمات في المناطق التي يطالها الاحتلال الفرنسي لتسهيل مهمة احتلالها (6).

ودعا اليهود الفرنسيين إلى تكوين مجلس يضم الطوائف والفئات اليهودية ويتخذ من باريس مقراً له بالتنسيق مع حكومة الادارة الفرنسية من أجل بناء وطن يجمع شمل اليهود وينظم حياتهم. وقد صرحوا بأن هذا الوطن الذي ينوون قيامه بالاتفاق مع فرنسا يشتمل على مصر السفلي "الوجه البحري" ويمتد شرقاً منتهياً بخط يبدأ من بلدة عكا إلى البحر الميت ومن جنوب هذا البحر إلى البحر الأحمر (7).

كان نابليون مطلعا على تلك الاتصالات بين زعماء اليهود وحكومة الإدارة في فرنسا وهو يعرف مدي الخدمات التي يمكن أن يقدمها له اليهود. ولذلك فإنه قد أصدر بياناً بعد وصوله إلى مصر 1798م حث فيه يهود آسيا وإفريقيا إلى الالتفاف حول رايته من أجل إعادة مجدهم الغابر وإعادة بناء مملكة القدس (8). كما وجه نابليون نداء آخر لليهود أثناء حصاره مدينة عكا في الرابع من أبريل 1799م وما ورد فيه:" إن العناية الالهية التي أرسلتني على رأس هذا الجيش إلى هنا قد جعلت العدل رائدي، وكلفتني بالظفر وجعلت من القدس مقرها العام، وهي التي ستجعله بعد قليل في دمشق التي يضيرها جوارها لبلد داؤود" وتابع نابليون في ندائه مخاطباً اليهود بقوله:" يا ورثة فلسطين الشرعيين" ودعاهم إلى الوقوف بجانبه للعمل على إعادة احتلال وطنهم ودعم امتهم لكي يصبحوا أسياداً في بلادهم (9).

الحركة الصهيونية تعريفها ونشاطها:

هي حركة دينية عنصرية يهودية سياسية وقد أخذ اسمها من جبل صهيون وهو أحد جبال القدس، وتهدف هذه الحركة إلى تحقيق الطموح الديني والقومي لليهود بالاستيلاء على فلسطين وجعلها مركزاً لدولتهم، وإعادة تشييد هيكل سليمان في مكان المسجد الأقصى وقد أعلن ديفيد بن غوريون أنه لا معني لفلسطين بدون القدس ولامعني للقدس بدون الهيكل ويوضح هذا أطماع إسرائيل في الأراضي العربية الإسلامية (10).

بدأت الحركة الصهيونية منذ ما قبل إعلان الانتداب على فلسطين بتأسيس الإطار اللازم لتحقيق الهجرة إلى فلسطين وإقامة الوطن القومي اليهودي، الا أن ما وفره الانتداب البريطاني من تسهيلات سرع في نمو هذه المؤسسات وتحقيق برامجها لاسيما بعد أن تضمن صك الانتداب إقرار شرعياً بالوكالة اليهودية (11).

وكان نتيجة لموجات الاضطهاد والتشريد التي تعرض لها اليهود وظهور الحركات القومية التي اجتاحت أوروبا راي اليهود ضرورة التمسك بقوميتهم ودينهم وقد تبلورت هذه الفكرة التي عرفت باسم "الحركة الصهيونية " في الدعوة إلى قيام وطن قومي ودولة لليهود في فلسطين "أرض الميعاد " تكون عاصمتها القدس (12).

تعتبر جمعية "أحباء صهيون" التي أسسها اليهود الروس في اسطنبول عام 1822م من أقدم الجمعيات الصهيونية وقد نشطت هذه الجمعية كثيراً في شراء الأرض وتدريب الشباب وتهجيرهم إليها وكذلك في إحياء اللغة العبرية وقد ساعد اليهودي الفرنسي روتشيلد هذه الجمعية بالدعم المادي فأقيمت المستعمرات للمهاجرين اليهود في فلسطين حتى بلغت في عام 1900م اثنين وعشرين مستعمرة وبلغ عدد اليهود المقيمين فيها ما يقارب الثلاثين ألف بالإضافة إلى كتابات المفكرين اليهود الذين دعوا إلى ضرورة إحياء التراث اليهودي القومي وتحقيق فكرة إيجاد وطن قومي لليهود في فلسطين (13).

وكانت أبرز المؤسسات الصهيونية التي تمكنت من وضع الأسس اللازمة لإقامة كيان داخل الدولة الفلسطينية هي:

الوكالة اليهودية المستهدفة، الجمعية اليهودية للاستعمار بفلسطين، صندوق الائتمان اليهودي، الصندوق القومي اليهودي، الصندوق الفلسطيني التأسيسي، ولقد شكلت هذه المؤسسات وفي صورة خاصة الوكالة اليهودية كياناً داخل الدولة وكان ذلك بموافقة سلطات الانتداب البريطاني وبتسهيلات منها.

أشهر قادة ومفكري الصهيونية:

ثيودور هيرتزل 1860 –1904م: هو المؤسس الفعلى للمنظمة الصهيونية، ولد في بودابست، وعاني طول حياته العنصرية سواء حيث كان تلميذاً في بودابست أو طالباً في فينا حيث نال شهادة الدكتوراه في القانون الروماني أو حيث أصبح محامياً وحتى بعد أن أصبح صحفياً لفرنسا. يعتبر هيرتزل من الدعاة المتعصبين لإقامة دولة يهودية ولقد وضع كل أفكاره حول طريقة تأسيسها في كتابه الدولة اليهودية 1896 ولتطبيق أفكاره عقد هيرتزل أول مؤتمر في مدينة بال بسويسرا سنة 1897 وكثف نشاطه لجعل الدولة اليهودية أمراً واقعاً من خلال محاولته إيجاد موارد مإلة ودعم ومساندة دولية للمساهمة في تحقيق هذا المشروع، توفي عام 1904م ونقلت رفاته إلى فلسطين في عام 1949م(14).

حاييم وايزمن 1864–1952م:

ولد بروسيا ودرس الكيمياء حيث نال شهادة الدكتوراه سنة1899 وعمل بالتدريس في جامعة مانشستر. وكان من أهم انجازاته اخترع مادة الاستون شديدة الانفجار التي رغب البريطانيون في الحصول علىها لاستخدامها في الحرب العالمية الأولى حيث تمت مكافئته بتوليه مناصب رفيعة كمستشار في وزارتي الحرب والتسليح البريطانيتين استقل موقفه هذا لمطالبة الحكومة البريطانية بإصدار وعد بلفور وبعد وفاة هرتزل أصبح رئيساً للحركة الصهيونية ولقد لعب دورا كبيرا في تأسيس الجامعة العبرية ضمن معظم أفكاره في كتابه " التجربة والخطأ 1949 م ".

ديفيد بن غوريون:

يهودي بولندي أسس رابطة للتحدث باللغة العبرية في عام 1906م، وهاجر إلى فلسطين وأنضم إلى حركة التطوع العبرية عام 1918م تدرج في المناصب إلا أن أصبح رئيساً للوكالة اليهودية، وتوفي عام 1973 م .

هيرش كإلتر: يهودي بولندي أعتبر في كتابه "البحث عن صهيون" إن قضية الخلاص اليهودي تتحقق من خلال امتلاك الأراضي والعيش علىها. هناك العديد من قادة ومفكري الصهيونية من بينهم "يهودا القلعي الذي أسس جمعية لتشجيع الاستيطان ومن كتبه طريق النعمة وسلام أورشليم، ومردخاي عمانوئيل الذي دعا إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين، وجابو تنسكي، وموشيه هس وغيرهم (15).

اليهود والدولة العثمانية:

في عهد الدولة العثمانية طرد الأسبان المسلمين واليهود من الأندلس، وضاقت باليهود الأرض بما رحبت ولم يجدوا مأوي لهم ولا أرض إلا في الدولة العثمانية التي احتضنتهم من باب الإنسانية والعطف والشفقة فما كان جزاؤها منهم إلا الجحود ونكران الجميل والعمل على تدمير الدولة، فقد برز هرتزل المحامي والصحفي اليهودي الذي كان يقود المنظمة الصهيونية والذي كان ينادي بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين التي كانوا يطلقون علىها أرض الميعاد.

وقد حاول هرتزل مساومة الخليفة عبدالحميد الثاني على فلسطين مقابل مساعدات مإلة إلى الدولة العثمانية فرفض الخليفة عبد الحميد رفضاً باتاً ومنع هجرة اليهود إلى فلسطين. وفي اثناء الحرب العالمية بدأوا يتآمرون على الدولة العثمانية، وبدأوا يعملون على نشر مفاهيم القومية والماسونية في الدولة وينضمون إلى جمعية الاتحاد والترقي، كما أن يهود الدونمة الذين أعلن الكثير منهم إسلامه وهم في قرارة أنفسهم يعملون على هدم الإسلام من داخله ونجحوا في ذلك وفي إثارة الفتن والحركات الانفصإلة داخل الدولة العثمانية وساعدهم

الحلفاء في وصول جمعية الاتحاد والترقي إلى الحكم، والتي كان الكثير من أعضائها يهوداً، وبذلك فان تآمرهم مع الحلفاء على الدولة العثمانية من الداخل قد ساعد الحلفاء كثيراً في الحرب العالمية الأولى والتي كانت نتائجها نهاية الدولة العثمانية (16).

وبذلك فإن الصهيونية قد فشلت في الحصول على اعتراف سياسي من الدولة العثمانية ولكن الحرب العالمية الأولى أوجدت تحالفات جديدة بين الدول الاوربية الاستعمارية مهدت إلى تسهيل النشاط الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، ومهدت الحرب إلى قيام تحالف تم إبرامه في عام 1917م بين بريطانيا والصهيونية تمخض عن صدور وعد بلفور، والذي مهد بدوره إلى انتزاع الكثير من الأراضي الفلسطينية والذي أدي مستقبلاً إلى إقامة دولة إسرائيل (17).

فلسطين واتفاقية سايكس بيكو1916م: في أثناء الحرب العالمية الأولى عقد اتفاق سري عرف باتفاقية سايكس بين بريطانيا وفرنسا عام 1916م بموافقة روسيا على تفكيك الإمبراطورية العثمانية. وقد أدي الاتفاق إلى تقسيم المناطق التي كانت خاضعة للسيطرة العثمانية وهي سوريا والعراق ولبنان وفلسطين إلى مناطق تخضع للسيطرة الفرنسية وأخري تخضع للسيطرة البريطانية، وجاءت المادة الثالثة في الاتفاق أن تنشأ إدارة دولية في المنطقة السمراء "فلسطين" يعين شكلها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة. وقد سميت الاتفاقية بإسمي المفاوضين اللذين أبرماها وهما مارك سايكس البريطاني وجورج بيكو الفرنسي. وقد نجحت بريطانيا بمقتضي اتفاقية سايكس بيكو من إبعاد روسيا عن فلسطين وباقي الشرق العربي بالتسليم لها بأطماعها في الدردنيل والبسفور والأجزاء الشمإلية من الدولة العثمانية. أما بالنسبة للأطماع الفرنسية في فلسطين فقد احتلت فرنسا منطقة الجليل في فلسطين مقابل منح بريطانيا مينائي حيفا وعكا وأن الأجزاء الباقية من فلسطين اتفق على وضعها تحت إدارة دولية يكون لفرنسا دور أساسي في تحديد ملامحها، لذا فقد برزت مخاوف بريطانيا من تطور النفوذ الفرنسي في فلسطين (18). كانت استراتيجية السياسة البريطانية تقوم على مبدأ عدم السماح لأي قوة أخري باحتلال فلسطين، لذلك ما أن تسلم لويد جورج مقإلد الحكم حتى أوضح أن بريطانيا ستحتل فلسطين وتستقر فيها، ولتحقيق هدفه لاحتلال فلسطين لجأ لويد جورج إلى تعزيز صلته بالحركة الصهيونية إذ كان يدرك مدي النفوذ الذي يتمتع به اليهود في فرنسا وقدرتهم على التأثير في السياسة الفرنسية بالإضافة إلى إمكاناتهم المإلة الهائلة المتغلغلة في الاقتصاد الفرنسي. إذاً فقد وجد لويد جورج أن بريطانيا ستضمن عن طريق تبني إنشاء كيان سياسي يهودي في فلسطين ولاء الحركة الصهيونية لها واستعدادها لتحريك يهود فرنسا بما لديهم من امكانيات وقوة للضغط على الحكومة الفرنسية كي تتخلي عن مطامعها في فلسطين. ويشير لويد جورج أن أحد العوامل التي جعلته يتبني فكرة إنشاء مثل هذا الكيان اليهودي السياسي في فسطين هو تخوف حكومته من المساعي الجدية التي كانت تبذلها الحكومة الألمانية منذ عام 1916م لكسب ثقة وتأييد الحركة الصهيونية عن طريق الضغط على الدولة العثمانية لإصدار وعد يحقق رغبات اليهود في فلسطين ويسهل استيطان اليهود هناك في ظل السيادة العثمانية (19).

المؤتمر الصهيوني الأول في سويسرا:

تم عقد أول مؤتمر صهيوني في مدينة بال بسويسرا عام 1897م، وقد دعا له ثيودور هرتزل وهو يهودي من المجر التي كانت جزء من الامبراطورية النمساوية. ونادي بحقوق اليهود في أن يكون لهم وطن قومي مثلهم في ذلك مثل بقية القوميات الأوربية. وكان اليهود في ذلك المؤتمر ينادون بقيام أي وطن لليهود ولذلك فقد رشحوا عددا من البلاد مثل الأرجنتين ويوغندا وسيناء، وغيرها ولكن أخيراً استقر الامر على أن يكون الوطن القومي لليهود هو فلسطين (20).

وفي عهد هرتزل كما ذكر سابقاً دارت مراسلات بينه وبين السلطان عبد الحميد في العام 1901م إذ كان اليهود يسعون للحصول على امتيازات في فلسطين نتيجة مساعدات مادية للدولة العثمانية إلا أن السلطان عبد الحميد قد رفض هذه المحاولات.

كان المؤتمر الدولي اليهودي يعقد كل عام وبعد ان توفي هيرتزل آلت قيادة الحركة الصهيونية السياسية إلى حاييم وايزمان وهو روسي الأصل بريطاني الجنسية. وقد تحالفت الصهيونية مع الإمبراطورية البريطانية لأنها كانت أكبر إمبراطورية في ذلك الوقت. أما حاييم وايزمان حاول أن يوثق العلاقة بين الصهيونية والإمبراطورية البريطانية وتكونت سنة 1917م في لندن لجان مشتركة بينهم، وكانت تسعي هذه اللجان المشتركة لاستعادة أمجاد الشعب اليهودي القديم، ومما ساعد وايزمان أنه كان أستاذاً للكيمياء في جامعة مانشستر وساهم في اكتشاف المتفجرات في الحرب العالمية الأولى. وقد تمكن وايزمان من تكوين علاقات مع كبار الوزراء البريطانيين أمثال تشرشل وبلفور ولويد جورج، وتمكن في النهاية من الحصول على وعد بلفور.

تصريح بلفور:

أعلن هذا التصريح في 1917/11/2م من وزير الخارجية البريطاني بلفور إلى روتشيلد أحد اثرياء اليهود يوعد فيه اليهود بوطن قومي لهم في فلسطين مع مراعاة بقية المجموعات الأخرى بالرغم من أن اليهود كانوا يمثلون 7% والعرب 93%، كما يذكر التصريح أن اليهود الذين يسكنون في بلاد أخري لا يتأثرون في حقوقهم كمواطنين في تلك البلاد. وكانت القدس وأجزاء كبيرة من فلسطين تحت الحكم العثماني، وهذا التقرير يمثل ظاهرة غريبة في قصره وغموضه وتوقيته.

هذا التصريح الذي عرف بوعد بلفور والذي صدر في 2 نوفمبر 1917م، فقد جاء فيه الآتي: "أن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف على أماني اليهود، وأن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وستبذل غاية جهدها لتسهيل هذه الغاية... دون ان ينتقص من الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين ولا حقوق اليهود في البلدان الأخرى..." (21).

أما الدوافع التي شجعت بريطانيا على إعطاء هذا الوعد فهي:

1- المساعدات الكبيرة التي قدمها اليهود إلى بريطانيا لدفع نفقات الحرب العالمية الأولى.

2- شجع اليهود الولايات المتحدة الأمريكية للانضمام إلى جانب الحلفاء في الحرب العالمية الأولى.

3- تشجيع اليهود الألمان في الحرب العالمية لخيانة بلدهم ألمانيا بأمل أن تعطي فلسطين لليهود.

الهجرة والاستيطان الصهيوني في فلسطين:

رسم ثيودور هرتزل منذ مؤتمره الصهيوني الذي عقده في مدينة بال بسويسرا في 1897م سياسة منظمة لعملية الزحف على أراضي فلسطين واستيطانها وتهويدها، وإيجاد وطن قومي لليهود في فلسطين. وفضل الصهاينة استخدام كلمة وطن بدلاً عن الدولة لأن كلمة دولة ستثير اعتراضات جهات دولية عديدة، وبعد رسم هذه السياسة الاستيطانية الصهيونية في مؤتمر الصهيونية الأول عمد الصهاينة إلى تحضير أدوات استيطانية لتحقيق الاستيطان والاستيلاء على الأراضي الفلسطينية.

ومنذ 1898م كانت هناك مؤسسات صهيونية تسعي إلى دعم الاستيطان اليهودي في فلسطين، فكان المصرف اليهودي للمستعمرات ولجنة الاستعمار والصندوق القومي اليهودي 1905 وشركة تطوير أراضي فلسطين 1908م كان الهدف لكل هذه المؤسسات الصهيونية الاشراف على عمليات انتزاع أراضي فلسطين وعمليات الاستيطان علها وتمويل كل تلك الأنشطة (22).

يري الباحث أنه رغم تلك الجهود المدعومة للاستيطان اليهودي في فلسطين إلا أنه لم تتحقق تلك الخطط الصهيونية في الاستيطان والاستيلاء على الأراضي في فلسطين في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى حيث لم يتحقق ذلك المشروع إلا بشكل محدود لأن الصهاينة

حتى قيام الحرب العالمية كانوا يشكلون أقلية لم تتجاوز نسبتهم 1% من مجموع اليهود في العالم، وقد كانت نسبة اليهود بالنسبة لسكان فلسطين آنذاك 7% ولم يكن يمتلكون من الأراضي سوي 2% من مساحتها.

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى فقد ساهمت بريطانيا في نقل ملكية الكثير من الأراضي الفلسطينية على حساب العرب الفلسطينيين، فمع صدور قانون الانتداب البريطاني على فلسطين عام 1920م فإن الأراضي المسجلة باسم الدولة العثمانية أعيد فتحها مما أدي إلى بيع مساحة كبيرة منها إلى اليهود، فتم شراء 500 ألف دونم إضافة إلى 200 الف دونم دون مقابل، واشتري اليهود أيضاً مساحة 625 الف دونما من مرج ابن عامر، وكانت تضم 22 قرية عربية اضطرت عائلاتها البالغ عددهم 900 عائلة إلى الرحيل عنها.

وتمكن اليهود من امتلاك 165 دونم، وفي أراضي وادي الحوارث ومساحتها 132 ألف دونم و 28 ألف دونم في كل من مدن صفد، الناصرة، عكا، بيسان، جنين، طولكرم، وتمكن اليهود من شراء 300 الف دونم.

وحتى عام 1947 حينما صدر قرار التقسيم فقد تمكن اليهود من امتلاك 1425000 دونما من مساحة فلسطين، وحين إنشاء الكيان الصهيوني استطاعت الحركة الصهيونية من السيطرة على 78% أي على نحو 22920000 دونماً من مساحة فلسطين (23).

فلسطين تحت الانتداب البريطاني:

دخلت الجيوش الانجليزية والغربية القدس بعد الحرب وقابلهم الفلسطينيون بالترحاب اعتقاداً منهم بأنهم متحررين من الحكم التركي ولم يكن العرب يعلمون بوعد بلفور، وبعد ذلك أخذ الحكام الإنجليز يدلون بالتصريحات المضللة وإعطاء فكرة غامضة عن وعد بلفور، ولكن الحقائق بدأت تظهر:

1- بعد الاحتلال مباشرة وصلت اللجنة الصهيونية برئاسة وايزمان الذي كان قد قابل ملك الانجليز جورج الخامس قبل سفره إلى فلسطين بمساعدة سايكس وبلفور. وقد نزل وايزمان ضيفاً على اللمبي في مركز قيادته وناقش معه الخطوات التي يجب اتخاذها لتنفيذ تصريح الحكومة بهدف انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وفي نفس الوقت تهدئة نفوس وشكوك العرب بخصوص نواياهم تجاه اليهود.

2- كان الفلسطينيون يعتقدون ان بلادهم ستكون جزءا من الدولة العربية الكبرى حسب وعد حسين ماكمهون عام 1915م ولكن لما علموا أن الفرنسيين قد احتلوا سوريا ووضعوها تحت الانتداب اخذوا يفكرون انهم ايضاً تحت الانتداب البريطاني وهذا اسوأ مما كانوا يتوقعونه.

3- لم تراعي بريطانيا المبادئ المتبعة في البلاد المحتلة من حيث الحفاظ على الأوضاع الراهنة إلا أن تنظر عصبة الأمم في مستقبل الحكم فيها كما جاء في نص الانتداب. وقد اعترف الحاكم العسكري البريطاني أن الإدارة البريطانية لم تتبع التعلمات الصادرة من عصبة الأمم. وهذا بالتأكيد يعتبر إخلال بالوضع الدولي.

استمرت فلسطين تحت الإدارة العسكرية حتى عام 1920م ثم عين أول حاكم عام مدني وهو بريطاني يهودي اسمه هربرت صموئيل فتسلم الإدارة المدنية من الحكم العسكري، وأسرع في تنفيذ المخطط الصهيوني لاغتصاب فلسطين يسنده الجيش البريطاني وأموال يهود العالم.

وقد اعترف وايزمان في مذكراته "Try and Error" "المحاولة والخطأ" أنه هو الذي اقترح على الحكومة البريطانية تعيين هربرت صموئيل حاكماً على فلسطين يتولى نقل الوعد النظري إلى حقيقة واقعية.

وكانت الإدارة جميعها في فلسطين مكونة من البريطانيين الموإلين للصهيونية وقاموا بعدة خطوات أهمها:-

1- وضع القوانين، وكانت جميعها لصالحهم.

2- الهجرة، والتي مكنت لأي يهودي في أي جزء من العالم أن يهاجر إلى فلسطين ويمنح جواز سفر فلسطيني، ولكن العربي ولو جاء من الأردن وسوريا يعد أجنبيا.

3- امتلاك الأراضي، سهلت القوانين لليهود المهاجرين إلى فلسطين بامتلاك الأراضي.

4- سهل لليهود شراء الأسلحة ومنعها للعرب، وهذا كله خرق لميثاق عصبة الأمم والانتداب.

5- اعتبرت اللغة العبرية لغة رسمية إلى جانب اللغة الإنجليزية والعربية، بالرغم من أن نسبة اليهود في فلسطين كانت 7%.

كان مجلس الحلفاء الأعلى المنعقد في سان ريمو سنة 1920م وتحت الضغط الصهيوني الإنجليزي قد أقر موضوع الانتداب على فلسطين. وقد وضع اليهود صك الانتداب بأنفسهم كما فعلوا بوعد بلفور. ولكن الانتداب تنظيم له قوانينه المحددة في عصبة الأمم وهو العمل لصالح الشعب وتطويره حتى يصل إلى الحكم الذاتي عن طريق تقرير المصير وترفع تقارير سنوية إلى عصبة الأمم عن تطور الإدارة في تلك البلد. ولكن النقاط التي أدخلت في صك الانتداب بواسطة اليهود هي: أن توضع فلسطين في ظروف إدارية واقتصادية وسياسية يضمن معها الآتي:-

1- تأسيس الوطن القومي لليهود.

2- أن تشجع حكومة الانتداب الهجرة اليهودية إلى فلسطين وإسكان اليهود في فلسطين.

3- أن تعتمد الحكومة تشكيل وكالة يهودية ترعي حقوق اليهود في فلسطين الوطن القومي لليهود.

4- أن تعطي الأفضلية للوكالة اليهودية عند منح امتيازات المشاريع لاستثمار الثروة في فلسطين.

في هذا الوقت قام مجلس الحلفاء في سان ريمو بوضع مشروع الانتداب سالف الذكر والذي اقرته عصبة الامم في سنة 1920م، وبذلك اصبحت فلسطين رسمياً تحت الانتداب البريطاني.

موقف عصبة الأمم من القضية الفلسطينية:

كان يفترض أن تطبق بنود الاتفاق المعروفة بأن يطلب من بريطانيا تقرير سنوي عن أدائها لمهمتها المحددة وهي تطوير الشعب الفلسطيني لبلوغ الحكم الذاتي وتقرير مصيره كما حدث مع بعض الأماكن الأخرى في سوريا ولبنان وكذلك في الدول الافريقية مثل تنجانيقا والكاميرون وغيرها. أما فلسطين فهي الوحيدة التي لم يطبق علىها الانتداب كما طبق على غيرها من البلاد الأخرى لأن الصهيونية ومنذ مؤتمرها الأول 1897 م وضعت خطتها تحت قيادة هرتزل وخليفته وايزمان مع بريطانيا وحصلت على وعد بلفور سنة 1917م، وما تبع ذلك من احتلال فلسطين ووضعها تحت الانتداب الذي عُدلت بنود صكه لتمكين اليهود من الهجرة والاستيطان والحصول على العديد من الامتيازات التي تقود إلى تحقيق قيام الوطن القومي لليهود. أما عصبة الأمم منذ ولادتها والتي ساهمت فيها

الصهيونية كانت ضعيفة وتسيطر علىها دولتان فقط هما إنجلترا وفرنسا. أما الولايات المتحدة الأمريكية ولو أن رئيسها ودرو ولسون* كان من مؤسسي عصبة الأمم إلا أن أمريكا لم تتدخل معهم. والدليل على سيطرة بريطانيا ما قاله وزير خارجيتها بلفور إلى وايزمان بحضور رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج "أن الوطن القومي يقصد به دولة إسرائيل".

الكتاب الابيض 1922م:

في عام 1922م تم اقتراح مشروع سمي بالكتاب الابيض من قبل ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني في 3 حزيران يونيو 1922م أكد فيه عزم الحكومة البريطانية تأسيس حكومة ذاتية في فلسطين، ومنح الجنسية الفلسطينية للعرب واليهود على السواء، والسماح بالهجرة اليهودية إلى فسطين بما يتناسب مع القدرة الاستيعابية الاقتصادية للبلاد. وبالفعل أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض وقد اشتمل على دستور فلسطين وتأسيس مجلس تشريعي محدود ليس له الحق في التدخل في شئون الحكم وفي سلطات الانتداب بالوطن القومي والهجرة والشئون المإلة وقد رحب بعض أعضاء الجمعية الصهيونية بالكتاب الأبيض لأن الوكالة اليهودية كانت قائمة ولأن العرب لم تكن لهم أصوات في الحكم. ورغم انحياز هذا المشروع لليهود وقبول بعضهم له إلا أنه تم رفضه من قبل بعضهم لأنه اعترف بهم كمواطنين وليس كقومية، واقترح زئيفي جابوتنسكي عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية مشروعا قائماً على أساس فكرة دولة ثنائية القومية بديلاً لمشروع الكتاب الأبيض (24).

رفض الفلسطينيون الكتاب الأبيض لانحيازه للصهيونية وتجاهله للحقوق الوطنية الفلسطينية، وتم عقد المؤتمر الفلسطيني الخامس في اغسطس 1922م حيث أكد المؤتمرون على رفض الانتداب البريطاني، ورفض الهجرة الصهيونية وفكرة الوطن القومي لليهود والتمسك بمطالب الدولة الفلسطينية المستقلة (25).

المقاومة الفلسطينية:

ثورات عرب فلسطين:

بدأت الامور تتكشف وعرف عرب فلسطين حقيقة وعد بلفور الذي كان سراً، فاندلعت المظاهرات العنيفة والإضرابات الشاملة في كل مدن فلسطين في عكا والقدس والخليل وغيرها. وفي عام 1921م أخذت الهجرة اليهودية تزداد يوماً بعد يوم كما قامت سلطة الانتداب بمساعدة المهاجرين على امتلاك الأراضي فهب عرب فلسطين في ثورة كبيرة بمدينة يافا.

ونتيجة لذلك فقد اندلعت العديد من الثورات واشتدت في يافا في عام 1924م واستمرت المقاومة وفي عام 1929م حدثت اضطرابات عمت جميع أنحاء البلاد عرفت بثورة البراق وقتل في هذه الاضطرابات أعدادا كبيرة من العرب، وقامت الحكومة البريطانية بإرسال لجنة وكان ذلك مواصلة للجان التي كانت تبعثها بريطانيا عندما تريد مماطلة القضية مثل لجنة هاي كرافت ولجنة ولتر شو 1930م ولجنة هوب سمبسون 1930م وأخيراً لجنة بل الملكية سنة 1937م، وفي عام 1930م اقترح وزير المستعمرات اللورد باسفيلد أواخر عام 1930م مشروعاً شبيهاً بمشروع تشرشل وأطلق عليه الكتاب الأبيض ايضاً. قام ديفيد غوريون بإعداد خطة حل لقضية فلسطين أطلق علىها في حينها اسم مبادئ أساسية لنظام الحكومة في فلسطين، حملت هذه الخطة تقسيم فلسطين إلى مناطق

* ودرو ولسون (1856 – 1924م): رئيس الولايات المتحدة الأمريكية 1913 – 1921م, شارك في معاهدة الصلح التي عقدت في نهاية الحرب العالمية الأولي في باريس, وكان قد أعلن المبادئ الأربعة عشر التي قامت عليها عصبة الأمم, حصل علي جائزة نوبل للسلام في عام 1919م. (المنجد في اللغة والاعلام: مجموعة مؤلفين, دار المشرق, بيروت, ط 22, 2000م, ص 613).

معتمدة على نظام البلديات التي تتمتع بحكم ذاتي على أن تكون مدينة القدس مقراً للحكومة وللهيئة التشريعية (26). كان موقف الفلسطينيين هو الرفض لأي حلول تعطي اليهود حقوقاً في اراضي فلسطين. وقامت اللجنة العربية في 1930 برفض ما ورد في مقترحات ذلك الكتاب لأن النصوص والمبادئ الواردة فيه لا تضمن للعرب حقوقهم القومية ومصالحهم الاقتصادية. واستمرت الثورات في الاندلاع حيث قامت في العام 1935م ثورة الشيخ عز الدين القسام وكانت عصيان مسلح ضد الانتداب ووعد بلفور، كانت هذه الثورة من بوادر الثورات الكبرى ولكن تمكنت القوات البريطانية من القضاء علىها.

ثورة وإضراب 1936م:

بعد بضعة شهور من أحداث ثورة القسام بدأت تندلع الثورات الكبرى حيث فقد العرب الثقة في البريطانيين وفي وعودهم الكاذبة ولذلك لجأ العرب إلى الحل الوحيد وهو الثورة المسلحة 1936م.

وعلى إثر ذلك تألفت لجنة في نابلس وعرفت باللجنة القومية، وقد دعت إلى الإضراب العام في أبريل 1936م، وتعمل على:

1- وقف الهجرة.

2- منع انتقال اراضي العرب إلى اليهود.

3- إنشاء حكومة وطنية مسئولة أمام مجلس نيابي.

وتألفت اللجنة العربية العلىا* برئاسة المفتي محمد الأمين الحسيني وعضوية آخرين وفي نفس الوقت نادت بالاستمرار في الإضراب إلى أن تنفذ الحكومة المطالب المذكورة. وقام الشباب بدور فعال في هذه الحركة وكان شعارهم: "إما فلسطين عربية وإما كل عربي فيها شهيد" وكثرت التظاهرات والاشتباكات وقدم العرب العديد من الشهداء في كفاحهم ضد الاستعمار الصهيوني. فحاولت الإدارة البريطانية اليهودية بكل السبل أن توقف الثورة ولكنها فشلت، ولكنها كعادتها كونت لجنة ملكية للنظر في القضية في نهاية 1936م.

وفي نفس الوقت ناشد الملوك والرؤساء العرب التدخل لإيقاف الإضراب في فلسطين، فاتصل ملك العراق غازي وملك السعودية عبد العزيز وملك إلىمن الإمام يحي باللجنة القومية لفلسطين وحثوهم على التفاوض مع الحكومة البريطانية باعتبارها صديقة. وكان المواطنون العرب في ذلك الوقت قد واجهوا الكثير من الصعاب فلبوا نداء ملوك العرب وقاموا بفك الإضراب بعد أن صمدوا ستة اشهر قدموا خلالها 1000 شهيد عربي و 3000 معتقل.

وقبل قيام الحرب العالمية الثانية سنة 1939م حاول الإنجليز كسب العرب فعقدوا مؤتمراً في لندن حضره عدد من الدول العربية منها مصر والسعودية والعراق وإلىمن وشرق الأردن، ورفض العرب الجلوس مع اليهود ففشل المؤتمر، استمرت ثورات العرب حتى قيام الحرب العالمية الثانية.

---

* اللجنة العليا العربية العليا: هي لجنة وطنية فلسطينية تم تأسيسها في عام 1936 بعد اجتماع كافة الأحزاب العربية داخل فلسطين لتقود النضال ضد اليهود في فلسطين, ورشح الشيخ محمد امين الحسيني لرئاسة هذه اللجنة, وقد حلت ادارة الانتداب البريطاني هذه اللجنة واعتقلت أعضائها ونفتهم إلي جزيرة سيشل. (عبد الوهاب الكيالي وآخرون؛ موسوعة السياسة, ج 5, ص 460).

لجنة بل 1937م ومشروع تقسيم فلسطين:

كونت بريطانيا لجنة ملكية عرفت بلجنة بل في 11 نوفمبر 1936م، للتحقيق في أسباب الثورة. وقد أوصت اللجنة في يوليو 1937م بإلغاء الانتداب البريطاني على فلسطين وتقسيم فلسطين إلى ثلاثة مناطق وهي السهل الساحلي لليهود، والمناطق الداخلية عدا المناطق المقدسة للعرب، على أن تتحد تلك المناطق مستقبلاً مع إمارة شرق الأردن لتشكل دولة متحدة، أما المناطق المقدسة "القدس وبيت لحم والناصرة" تكون تحت الحماية البريطانية (27).

يعتبر قرار لجنة بل أول اعتراف لليهود بإعطائهم حق إنشاء دولة في الوقت الذي أنكر فيه الحقوق الوطنية الفلسطينية. رفضت اللجنة العربية العليا قرار التقسيم الذي أقرته لجنة بل باعتباره انتهاكاً للحقوق العربية، وقرر العرب عقد مؤتمر في بلودان بالقرب من دمشق في يومي 8- 10 سبتمبر 1937م وكان أهم مخرجاته هو رفض التقسيم ورفض إقامة دولة يهودية على الأراضي الفلسطينية، وطالبوا بالاستقلال، واستمرت الثورات، أما اليهود فبالرغم من أن معظمهم رفض التقسيم أيضاً لانهم يريدون كل فلسطين ولكن وايزمان اقترح قبول المشروع لأنه يعترف لأول مرة بحق شرعي لليهود في فلسطين.

في 17 سبتمبر 1937م قرر مجلس عصبة الأمم تفويض لجنة مهمتها العمل على تنفيذ مقترحات لجنة بل الخاصة بتقسيم فلسطين، وكانت اللجنة تضم أربعة أعضاء برئاسة جون وودهيد والتي انتهت من أعمالها في نوفمبر 1938م وقد أوضحت في تقريرها أن الفلسطينيين يتخذون موقفاً عدائياً للتقسيم وقدمت اللجنة اقتراحات بديلة لمواجهة المشاكل التي يمكن ان تنجم عن إجراءات التقسيم (28). والجدير بالملاحظة أن هذه اللجنة الفنية التي أتت لوضع أسس التقسيم فقد أدت الاضطرابات في فلسطين في بادئ الأمر إلى تأجيل سفرها إلى فلسطين، وحينما وصلت إلى فلسطين لم يتقدم أحد من العرب لاستقبالها أو مقابلتها، ولذلك فقد كان تقريرها يتضمن حقيقتين الأولى أن العرب يعارضون كل مشروع يهدف إلى إقامة دولة يهودية، والثانية استحالة تقسيم فلسطين إلى دولتين تتوفر فيهما متطلبات الدفاع. وبناء على هذا التقرير أصدرت الحكومة البريطانية في نوفمبر 1938م قرارها في مجلس العموم البريطاني الذي أعلنت فيه أنه بعد دراسة تقرير لجنة التقسيم تبين لها أن الصعوبات السياسية والإدارية والمالية نتيجة إنشاء دولتين مستقلتين في فلسطين إحداهما عربية والأخرى يهودية هذه الصعوبات كبيرة جداً وأن التقسيم ليس حلاً عملياً وأن الأساس السليم لإقرار السلام في فلسطين هو التفاهم بين العرب واليهود، وتحقيقاً لهذه الغاية ستوجه الحكومة البريطانية الدعوة إلى العرب في فلسطين وفي الدول الأخرى وإلى الوكالة اليهودية للبحث في السياسة المقبلة في فلسطين (29).

الكتاب الأبيض 1939م:

القي وزير المستعمرات البريطاني مالكولم ماكدونالد بياناً في مجلس العموم البريطاني اعترف فيه بالصعوبات السياسية والإدارية والمالية التي يتضمنها مشروع التقسيم بعد تقرير لجنة وودهيد، وقد عقدت الحكومة البريطانية مؤتمراً في قصر سان جيمس بلندن في 7 فبراير 1939م عرف بمؤتمر المائدة المستديرة حيث حاولت تقديم حلولها التي تخدم الجانب اليهودي إلا أن المندوبين العرب رفضوا الجلوس مع مندوبي الوكالة اليهودية، وطالب الفلسطينيون بالاستقلال التام، وبإقامة دولة فلسطينية ذات سيادة. ونتيجة لفشل هذا المؤتمر فقد أصدر مالكولم ماكدونالد خطة جديدة للسياسة البريطانية في فلسطين في 17 مايو 1939م عرفت بالكتاب الأبيض، أكد فيه عزم بريطانيا على عدم نيتها في إقامة دولة يهودية في فلسطين، وأنها تنوي قيام دولة فلسطينية بعد عشر سنوات يتم فيها اقتسام السلطة بين العرب واليهود بما يحقق مصالح الطرفين، ولكن رفض المشروع من جانب العرب واليهود وبذلك صرفت بريطانيا النظر عنه(30).

كان إصدار بريطانيا للكتاب الأبيض 1939 في توقيت بعد أن أيقنت بريطانيا أن الحرب العالمية على وشك الحدوث وحاولت إرضاء العرب حتى تكسب ودهم ومن بين ما جاء في هذا الكتاب:

1- تحديد هجرة اليهود.

2- تحديد بيع الأراضي.

3- وضع الأسس الرئيسية لضمان حقوق العرب السياسية. وذلك بإنشاء مجلس تشريعي يشترك فيه العرب واليهود.

وقد رفض اليهود الكتاب الأبيض 1939م جملة وتفصيلا.

وفي هذه الأثناء قام اليهود بعدة خطوات:

الخطوة الأولى: الإرهاب اليهودي:

تكونت جمعيات إرهابية يهودية لضرب المصالح العربية في فلسطين. وأهم هذه الجمعيات " الهقنة* – هورغن اوغن"، أما الهقنة فقد تأسست منذ 1939م وكانت جزءا من الوكالة اليهودية وكان معترفا بها ولكنها كانت تستعمل في ضرب القومية الفلسطينية. أما اورغن فهي جمعية إرهابية كانت تضرب القوات البريطانية ومن أفظع أعمالها نسف خندق الملك داؤود 1939م وهو مقر القيادة البريطانية وقتل فيه عدد كبير من ضباط الجيش البريطاني.

الخطوة الثانية: اما الخطوة الثانية التي قامت بها الصهيونية هي نقل مركز قيادتها من انجلترا إلى أمريكا، وفي عام 1940م اجتمعت القيادات الصهيونية في نيويورك في فندق بلتمور وأصدرت القرارات الآتية:-

1- رفض الكتاب الأبيض.

2- فتح الهجرة إلى فلسطين من غير أي تحديد.

3- قيام دولة إسرائيل.

4- تكوين جيش يهودي للمساهمة في الحرب حتى تتحقق أهدافهم.

ومن أحداث تلك الفترة فقد واجهت الصهيونية محاربة النازية لليهود في الحرب العالمية الثانية وذلك نسبة لخيانة اليهود لألمانيا في الحرب العالمية الأولى وبذلك فقد زادت هجرة اليهود من أوروبا إلى أنحاء العالم وفلسطين.

ولما اشتد الضغط على بريطانيا من الإرهاب اليهودي في فلسطين ومن الضغوط الصهيونية الأمريكية تنازلت عن ما جاء في الكتاب الأبيض، وكانت الحرب قد أرهقتها فاضطرت في عام 1946م إلى تكوين لجنة امريكية انجليزية للنظر في مستقبل فلسطين فأوصت اللجنة تحت الضغط الصهيوني الامريكي برفض ما جاء في الكتاب الأبيض.

قرار هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين:

في أبريل عام 1947م وضعت بريطانيا القضية أمام المنظمة الدولية "الأمم المتحدة"، وهكذا عادت قضية فلسطين مرة أخري الى الهيئة الدولية، وبذلك فإنها عرضت في عام 1920م في مؤتمر سان ريمو التابع إلى عصبة الأمم وفي عام 1947م عادت القضية مرة أخري.

---

* الهقنة: هي منظمة عسكرية صهيونية أسسها بن جوريون وكانت اكبر المنظمات الصهيونية ولعبت الدور الرئيسي في اغتصاب فلسطين وأصبحت نواة الجيش الإسرائيلي بعد تأسيس دولة إسرائيل 1948م (المصدر: اكرم زعيتر: القضية الفلسطينية, دار المعارف بمصر, 1955م, ص144).

وكونت لجنة للنظر في هذه القضية وانقسمت الآراء داخل هذه اللجنة جزءا نادي بإبقاء فلسطين موحدة وجزءا نادي بالتقسيم، وتدخلت أمريكا والصهيونية العالمية بحشد الدول نحو التصويت لصالح التقسيم ورجحت بذلك كفة التقسيم.

وفي يوم 24 نوفمبر 1947م أوصت اللجنة بالتقسيم وصوتت الأمم المتحدة على ذلك واعترضت الحكومات العربية وطلبت نقل القضية إلى محكمة العدل الدولية ولكن تم التصويت وكان 33 لصالح التقسيم و13 ضده و 10 ممتنعاً عن التصويت، وهكذا اجيز المشروع. واعيد التصويت مرة اخري وتدخلت الولايات المتحدة ايضاً في 29 نوفمبر 1947م وصدق على قرار التقسيم.

قرار التقسيم كان صدمة كبيرة للعرب في كل أنحاء العالم العربي فعمت المظاهرات واندلعت الثورة وحدثت صدامات دامية، وفي الفترة من 12 – 18 / 12/ 1947م تم اجتماع للجنة السياسية للجامعة العربية في القاهرة واتخذت القرارات التإلية:

1- وقوف الحكومات العربية وشعوبها مع أهل فلسطين حتى تحقيق استقلال بلادهم.

2- رفض قرار التقسيم.

3- خوض المعركة من أجل منع التقسيم. (31).

وبناء على ذلك قرر المجتمعون في تلك الجلسات التي حضرها معظم رؤساء الحكومات وقرروا الحيلولة دون تنفيذ قرار التقسيم وقيام الدولة اليهودية، فقرروا تقديم الأسلحة لعرب فلسطين وفتح باب التطوع وإرسال المتطوعين إلى فلسطين. وقرر أيضاً تقسيم القوات المشاركة في الحرب إلى جانب العرب إلى تنظيمين، الأول ويسمي جيش الإنقاذ أو جيش التحرير وكان يتولى قيادته طه الهاشمي وإسماعيل صفوت وفوزي القاوقجي، وهو يتكون من الضباط والجنود المتطوعين من البلاد العربية. والتنظيم الثاني هو جيش المجاهدين الفلسطينيين الذي يعمل داخل فلسطين وتشرف عليه الهيئة العربية العليا وسمي جيش الجهاد المقدس، وكان يتولى قيادته عبد القادر الحسيني ويساعده الشيخ حسن سلامة (32).

وفي 15 مايو 1948م انسحبت بريطانيا من فلسطين وكان يجب أن تنسحب في أغسطس 1948م قدمت تاريخ انسحابها إلى 15 مايو لأن الولايات المتحدة حاولت أن تعهد إلى بريطانيا بتنفيذ قرار التقسيم ولكن بريطانيا رفضت ذلك الأمر. واشتدت الحرب بين اليهود والعرب وتدخلت البلاد العربية لإنقاذ الفلسطينيين من قوات الاسرائيليين المدربة تحت لواء الوكالة اليهودية في فلسطين، كما أن القوات البريطانية عند انسحابها تركت معداتها للإسرائيليين، كذلك فإن الأمريكان أرسلوا متطوعين للمساعدة.

وعندما اشتدت الأحداث الدامية في فلسطين بسبب قرار التقسيم رأت الولايات المتحدة بأن ذلك الوضع سيعرض المصالح الأمريكية للخطر وبالتإلى من المحتمل تدخل الاتحاد السوفييتي في المنطقة، وبهذا فقد عرضت المسالة إلى مجلس الأمن واقترحت الولايات المتحدة وضع فلسطين تحت الوصاية المؤقتة لمجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة مع وقف جهود لجنة فلسطين الرامية لتنفيذ التقسيم، مما أدي إلى إثارة اليهود باعتبار أن ذلك سيؤدي إلى عدم قيام الدولة اليهودية أو إرجاء قيامها على الأقل، ولذلك فقد شن اليهود هجوماً شديداً استطاعوا احتلال القدس الجديدة وطرد العرب من بعض المدن مثل حيفا ويافا وطبريا وصفد وكذلك استولوا على قرية القسطل التي استشهد قائدها عبد القادر الحسيني في محاولته استرجاعها، وكان اليهود يقصدون من وراء ذلك التأكيد للأمم المتحدة أن في استطاعتهم تنفيذ التقسيم بالقوة وبالاعتماد على أنفسهم (33).

وقامت جماعات من الأرجون وشترن بقيادة مناحم بيجين باقتحام قرية دير ياسين من ضواحي القدس وقتل العرب ومثل بجثث ضحاياها من المدنيين، وقد علق مناحم بيجن بأنه "لولا النصر في دير ياسين لما كانت هناك إسرائيل" حتى أن الكاتب اليهودي جون

كيمش Kimche وصفها بأنها ابشع وصمة عار في تاريخ اليهود. ورغم ذلك فقد صمدت المقاومة العربية في المدن مثل حيفا وصفد وعكا ويافا وقد كان يدافع عنها حسن سلامة الذي قاوم بشراسة حتى استشهد في معركة راس العين في 31 مايو 1948م.

زار حاييم وايزمان واشنطون في 13 مايو 1948م وأعلن بعد زيارته لترومان: " لقد تمكنت من توطيد علاقتنا بأصدقائنا في واشنطون وتأكدت من أنه سيتم الاعتراف بدولتنا لحظة قيامها" وفي تمام الساعة الواحدة بتوقيت واشنطون من يوم 14 مايو 1948م أعلن قيام دولة اسرائيل، وبعد عشر دقائق تماماً أعلنت الولايات المتحدة اعترافها بالدولة الجديدة. كما اعترف بها الاتحاد السوفييتي وهما أكبر دولتين في العالم. وقد كان للانتخابات الامريكية التي كانت ستجري في نوفمبر 1948م أثر على هذا التلهف على كسب أصوات اليهود. وهكذا بدأت مرحلة جديدة من الصراع العربي الإسرائيلي وامتدت الحروبات بين إسرائيل الدولة الجديدة والعرب الفلسطينيين من جهة وبين إسرائيل والدول العربية الأخرى التي ساندت القضية الفلسطينية من جهة أخري، واستمر الوضع في صراع طويل إلى الآن رغم تغير الظروف والالتزامات والأدوار للبلاد العربية المساندة للمقاومة الفلسطينية.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج وهي:-

1- تطلع اليهود بكل السبل إلى الحصول على وطن قومي يجمعهم كقومية بعد أن كانوا مضطهدين في كل دول العالم. وسعوا إلى اقامة مؤتمر جمعوا فيه معظم يهود العالم في مدينة بال السويسرية في عام 1897م بقيادة ثيودور هرتزل وخليفته حاييم وايزمان، والذي اعتبر نقطة الانطلاق في تكوين الحركة الصهيونية التي قادت مسعاهم لإقامة دولة إسرائيل.

2- الحركة الصهيونية في مساعيها الاستيطانية لم تستطع تحقيق الخطط الصهيونية في الاستيطان والاستيلاء على الأراضي في فلسطين في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى حيث لم يتحقق ذلك المشروع إلا بشكل محدود في تلك الفترة لأن الصهاينة حتى قيام الحرب العالمية الأولى كانوا يشكلون أقلية لم تتجاوز نسبتهم 1% من مجموع اليهود في العالم.

3- لعبت بريطانيا دوراً كبيراً في دعم مساعي اليهود الرامية إلى تحقيق حلمهم بإقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين، وقد كان لالتزام بريطانيا بوعد بلفور 1917م وتنفيذه، وكذلك اجراءات وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني الذي عدلت صكوكه لدعم الهجرة والاستيطان الصهيوني في فلسطين دوراً كبيراً في تحقيق آمال وأماني اليهود في اقامة وتأسيس دولة إسرائيل.

4- ساهمت الدول الغربية بقيادة الولايات المتحدة – التي انتقل إليها مركز القيادة الصهيونية من بريطانيا– وحليفاتها من الدول الغربية في دعم اليهود عبر المنظمات والمؤسسات الدولية في الهجرة والاستيطان في فلسطين، ثم في دعم قرار تقسيم فلسطين في الأمم المتحدة 1947م وإقامة دولة إسرائيل.

5- لم تستسلم المقاومة الوطنية الفلسطينية في مواجهة التغلغل والاستيطان اليهودي في فلسطين بكل السبل، فقامت الثورات التي قاومت الوجود الصهيوني، وبرزت مجموعات كثيرة من حركات المقاومة التي ما زالت صامدة في مواجهة العدو الصهيوني، وتراجع موقف الدول العربية التي كانت فيما قبل تدعم وتقود الثورات المسلحة لدعم الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية في الأرض وفي المؤسسات الدولية.

6- إن الخطر الصهيوني لا يهدد عروبة فلسطين وحدها وإنما يمتد تهديده ليشمل الوطن العربي كله بل والشرق الأوسط عموماً.

التوصيات:

نتيجة لما سبق فإن الباحث يوصي بالآتي:-

1- إن القضية الفلسطينية لا تزال تعتبر هي قضية العرب الرئيسية، فلا بد أن تتوحد الأمة العربية التي تفرقت وحدتها لتدرك ما أهملته من مواقف وبطولات عربية سابقة كان لها تاريخها العظيم وأن تنبذ الخلافات فيما بينها، وأن تتخلي عن سياسة الأحلاف مع القوي الغربية المعادية للعرب والاسلام والمؤيدة للاستيطان اليهودي في فلسطين والتي امتد تأثيرها في سيطرته على سياساتها على المستوي الداخلي والخارجي. ويجب أن تتوحد كلمتها وتعيد ماضي بطولاتها في تحقيق الوحدة العربية وتحقيق توحيد الموقف العربي في مواجهة الصهيونية واسترداد الحقوق العربية المسلوبة.

2- دعم المقاومة الفلسطينية عربياً في صراعها مع الصهاينة والقوي الغربية المساندة لها والعمل على حماية الشعب الفلسطيني من الانتهاكات اليهودية، واسترداد الأراضي الفلسطينية المغتصبة من اليهود.

3- إقامة المؤتمرات الدولية والعمل على إجراء الدراسات والبحوث العلمية الموثقة لتوضيح الحقائق التاريخية حول جذور وتطور القضية الفلسطينية، وكشف الحقائق عبر دراسة الوثائق التاريخية والمخطوطات التي تبين مدي التآمر لاغتصاب الأراضي الفلسطينية ومدي حجم الجرائم الصهيونية والغربية المتحالفة مع اليهود تجاه فلسطين في أرضها وسكانها.

المصادر والمراجع:

(1) نبيل محمود السهلي؛ فلسطين- ارض وشعب منذ مؤتمر بال وحتى 2002، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق- 2004، ص 4.

(2) محمد عبد الغني سعودي: الوطن العربي، ج1، ط1، دار النشر المكتبة النموذجية، القاهرة 2006، ص35

(3) أحمد حسن الكناني، الكفاح العربي الإسلامي ضد الاستعمار، ج1، ط1، بيروت دار النهضة 2007 ، ص240.

(4) امين عبد الله محمود؛ مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، سلسلة عالم المعرفة للنشر- كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، 1884م، ص 11-12.

(5) ريجينيا الشريف؛ الصهيونية غير اليهودية في انجلترا، والصهيونية العنصرية، سلسلة عالم المعرفة للنشر - الكويت، 1985م، ص 28.

(6) خيرية قاسمية؛ النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه1908-1918م، منظمة التحرير الفلسطينية- مركز الابحاث، بيروت، 1973م، 12.

(7) ابلي ليفي ابو عسل؛ يقظة العالم اليهودي، دار الفضيلة للنشر، القاهرة، 1934، ص 99-101.

(8) ESCO Foundation، Palestine: A study of Jewish، Arab and British Policies; N.Y 1970، p57.

(9) Franz Kobler، The Vision was there، London، 1956، p44.

(10) محمد موسى محمد أحمد البر؛ الصراع الاسلامي الصليبي دعوة للجوار والحوار، الخرطوم شركة مطابع السودان، ج1،2007، ص 169.

(11) أحمد عزت عبد الكريم؛ دراسات في تاريخ العرب الحديث، بيروت دار النهضة العربية، ج1، ط1، ص 434.

(12) نفس المرجع، ص 435.

(13) راغب السرجاني؛ الموسوعة الميسرة في التاريخ الاسلامي، القاهرة مؤسسة اقرأ، ج1 ط2، 2005م، ص 216.

(14) عمر عبدالعزيز عمر؛ تاريخ العرب الحديث والمعاصر، بيروت دار النهضة، ج2،ط2، ،1984، ص342.

(15) نفس المرجع، ص 343 وما بعدها.

(16) راغب السرجاني؛ مرجع سابق، 218 وما بعدها.

(17) الاستعمار الصهيوني في فلسطين؛ سلسلة دراسات رقم 1، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الابحاث، بيروت، 1965م، ص 15.

(18) The Diary of lord Bertie of Theme، London،1924، vol 11، p122

(19) Elie Kedouri، England and the Middle East، 1914–1921، London، 1956، p 51.

(20) شوقي عطا الله الجمل؛ تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر من الفتح العثماني للعالم العربي إلى الوقت الحاضر، القاهرة دار المعرفة الجامعية، ج2، ط2016،2 م، ص 16 وما بعدها.

(21) Frank، E. Manuel، The Realities of American–Palestine Relations. Green wood prees، publishers ، Westport، Connecticut، 1975، p 9.

(22) عبد الرحمن ابو عرفة؛ الاستيطان التطبيق العملي للصهيونية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر– دار الجليل للنشر، عمان، 1981م، ص 10.

(23) نفس المرجع، ص 10– 13 .

(24) على الدين هلال: مشروعات الدولة الفلسطينية، مركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، 1978م، ص 25.

(25) أنور جمعة حرب أبومور؛ التطور التاريخي لمشروع الدولة الفلسطينية (1964–1999)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر من كلية الآداب في الجامعة الاسلامية، غزة– فلسطين، 2014م، ص 16.

(26) على الدين هلال؛ مرجع سابق، ص 28.

(27) أنور جمعة حرب أبومور؛ مرجع سابق، ص 17– 18.

(28) نفس المرجع، ص 18.

(29) محمود صالح منسي؛ الشرق العربي المعاصر– القسم الاول الهلال الخصيب، القاهرة، 1990م، ص 269.

(30) انور جمعة حرب ابومور؛ مرجع سابق، ص 19.

(31) قرارات جامعة الدول العربية الخاصة بقضية فلسطين يونيو/ حزيران 1945 – مارس 1961م، الامانة العامة القاهرة، 1961م، قرار مجلس الجامعة الخاص بفلسطين، ديسمبر 1947م.

(32) محمود صالح منسي؛ مرجع سابق، ص 309.

(**33**) نفس المرجع، ص 310.